ينابيع من التراث القومي

السوداني

الطــريق إلى الصــــفيراية

(الخــــــــلوة)

omerelammas.com

الدكتور / عمر محمد العماس

الشيخ/ أحمد ود الشيخ عوض الله (يرحمه الله).

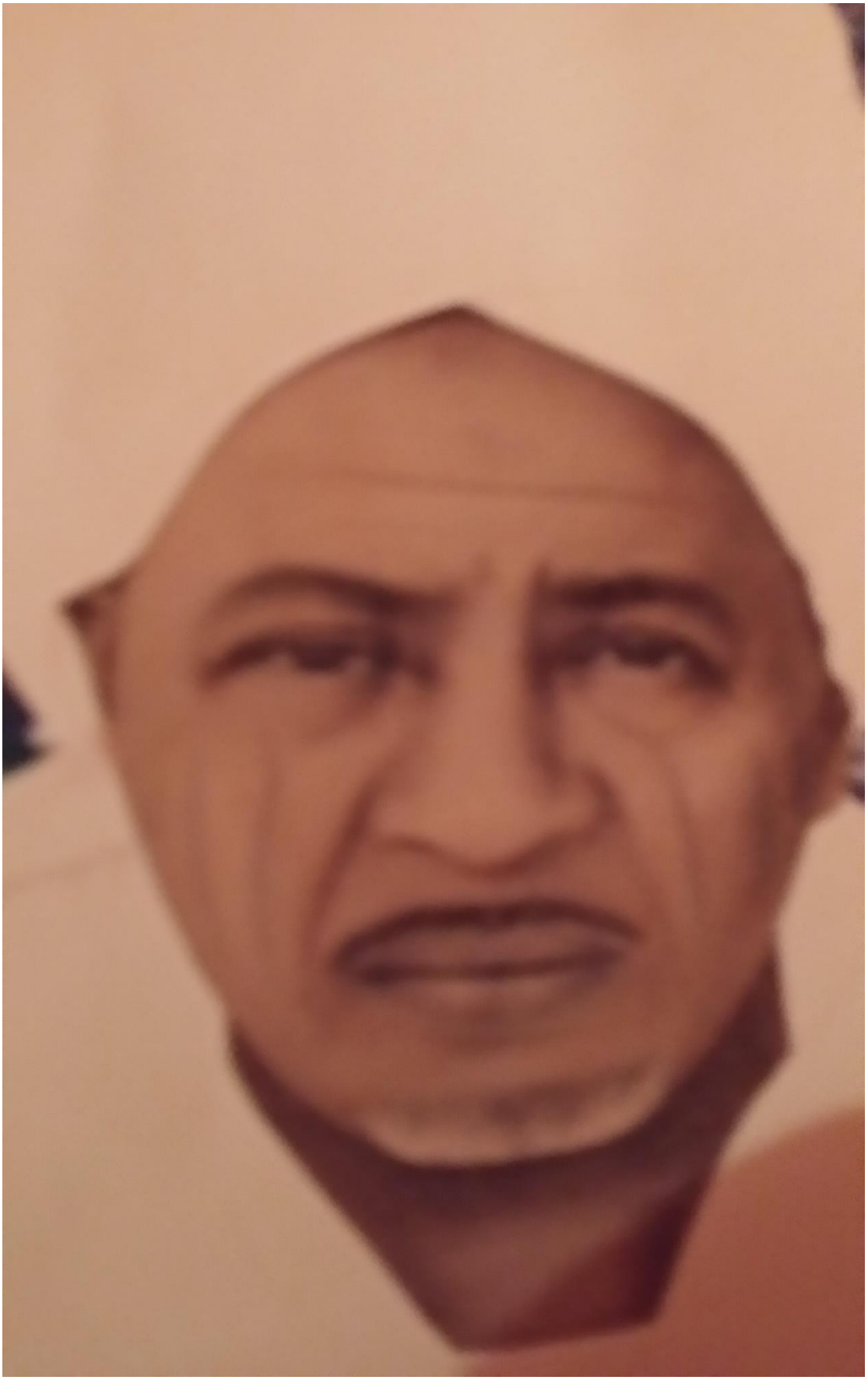

الإهـــــداء

أليكم الخليفة / أسامة الشيخ حمزة....

وإلى الحيران .. والفقراء.. والسالكين.. المنضوين تحت لواء...

(مسيد وخلوة) الشيخ أحمد ود الشيخ عوض الله - عليه رحمة الله...

وإليكم أحبابي...القراء،

في أصقاع السودان المختلفة...

وإلى من هو منكم.. في قائمة المثقفين...

من أبناء أمتنا السودانية المعطاءة،

وإلى كل من يأتي عبركم.. من المهتمين بالتراث،

وإلى كل من جاءكم يسعى للعلم وللمعرفة...

أهدي هذا الصرح التراثي الإسلامي..

الذي أرجو أن يكون شامة آسرة... في صفحات التراث النيرة...

وأن يجد نافذة يعبر منها للخير..

وللفائدة..

لكل أفراد الأمة الواعدة.

المؤلف

omerelammas.com

المقدمة

عزيزي القارئ....

إنّ للتراث السوداني ينابيع..

ثرة... متنوعة... لا تنضب...

فهي ذات جذور ممعنة في التعمق..نابضة و دافقة،

لا يتوقف معينها أبداً،

وهي متجددة في ذات الوقت...

تهدي فيضها عبر مساحات التاريخ...

وعبر حقبه المتعاقبة...

لأمة لم يتوقف عطاء أفرادها..

وعطاء مجتمعاتها...

عن الإتيان بكل ما هو جديد... وما هو مبتكر..

وكل ما هو موثوق رباطه...

مشتملاً على وجدانياته، وعلى قيمه،

وعلى نشاطاته الحياتية المتعددة...

التي ميزته كثيرا عن غيره من الأمم الأخرى ...

في كل حقبه التاريخية...

الزاخرة بالتنوع الحضاري،

المتمدد مع مرور العصور...

وتنوع مآل الحياة البشرية....

omerelammas.com

لك عزيزي القارئ...

أن تتصفح معي الصفحات القادمات...

لنقف سوياً على بعض مضامين التراث التعليمي في الخلاوى..

وعلى شيء من مضامين التراث القومي السوداني الديني..

بصفة خاصة،

رغبة في إزاحة الستار..

ونفض الغبار... العالق بها،

من متكدسات الماضي.. وترسباته،

فلعلنا نسوق أنفسنا..

بدأً من هذا المنطلق الصلب...

والسمو إلى آفاق..

تجعل منا.. منارة بارزة.. وزاهية ..

في رفع شأن الأمة السودانية المسلمة..

والترقي بها..

إلى ما هو أسمى.. و أنبل،

وإلى ما هو أكبر قدراً..

و أرفع مكانة..

بين الأمم من حولنا،

فتراثنا القومي...الديني....

غني بما فيه..

ونابض لا تكف ينابيعه..

omerelammas.com

ولا تتوقف ... أن تسكب...

كل ما هو مفيد..

لأمتنا..

ولغيرها من الأمم...

في عصر أصبح للتراث فيه..

قيمة..

وفي الحفاظ عليه مكرمة.

ستجدني عزيزي القارئ ...

أستخدم كلمة (ود) دون أن أستخدم كلمة (إبن)...

أو وصل الاسم مع اسم الوالد والجد مباشرة...

فمثلاً : (محمد العماس عثمان)...

أكتبها كما يلي:

محمد ود العماس ود عثمان...

وفي بعض الأحايين تكتب...

(محمد).. (أمحُمد) ...(بضم الألف و الحاء).

والأمين تكتب (اللمين)...ومثالها:

(أحمد أُمحُمد ود اللمين...)

وما ذلك إلاّ بعضاً من تراث ألفناه في موطننا... (شبشة).

المؤلف

omerelammas.com

الـــتراث

يشتمل التراث السوداني... الذي نحن بصدد الغوص في بحوره، و التوغل في عمق ينابيعه، على مختلف نشاطات الحياة العملية منها.. والنظرية.. والوجدانية، شاملة الجوانب الأدبية.. والعلمية.. والتجارب الفردية، والجماعية، القبلية منها.. والجهوية.. والوافدة، من دول الجوار.. أو الدول والشعوب ذات الأثر الثقافي.. واسع الانتشار.

قد يشمل التراث أيضاً، ما قد جاء به الرحالة.. والسياح.. والهاربين من أوطانهم، جراء وطأة الحروب الداخلية.. أو الحروب الخارجية، أو الهاربين من العدالة في أوطانهم، أو المشردين من مواطنهم، لأي سبب كان.. بصفة عامة، أو التجار.. أو الرعاة.. أو أصحاب الحرف والصناعات، أو الذين تزاوجوا مع المجتمعات السودانية.. فأنجبوا ما شاء لهم أن ينجبوا.. من الأولاد ومن البنات، وكل أصحاب الحاجات المرئية.. وغير المرئية.

كل هذا الفيض الذي ذكرنا.. من الحالات، استطاع هذا التراث الموروث.. أن يكوّن بوتقة واحدة، تحدث عن نسيج المجتمع السوداني.. من خلال حقب متتالية، لكل منها شكلها الحياتي... وتراكماتها الثقافية، التي تخصها، والتي أصبحت إرثاً يتعلق بحياة الأمة السودانية، وأصبحت تراثاً موحداً لكل الأمة، التي تتحيز رقعة.. ذات مواصفات معينة.. الطبيعية منها والمناخية.. بصفة عامة، والمكونات.. والأصول اللغوية.. والعقائدية.. والوراثية، والتراكيب الخلقية.. والآمال والتطلعات القومية.. والنزعات القبلية.. والانتمائية.. والعلاقات العامة.. بمن هم في الجوار، أو ما قد يتخطاهم بالحد المقبول.

التراث السوداني... إن كان ممارسة عملية محسوسة وواقعية.. أم كان رمزياً ومعنوياً.. كما هو في القصص.. والشعر.. والأدب، بمختلف فنونه.. وبكل تفاصيله.. فهو يحدّث عن أمة واحدة...وعصر أو عصور معينة... سطرت على صفحات نشاطات الأمة.

يمكن لنا أن **نقول:**

إنّ التراث السوداني بالنسبة لنا كسودانيين، هو الحياة، محددة بفترات وحقب.. لا زالت متعلقة بأذهان الأفراد.. أو ما قد اندثر منها بفعل الزمن.. فالتراث حياة مستمرة.. تستمد كل حقبة منها ما شاءت.. أن تحذو من حذو.. عامدة إلى تخليده، وإلى تطويره، بالإضافة أو بالحذف أو بالتعديل.

إنّ القصص.. والحكاوي، التي نجترها اليوم... ما هي إلاّ حياة سبقت أحداثها، لكننا لا زلنا نمارس بعض نشاطاتها.. ونعجب بالكثير من فقراتها.. ونزاول أحداثها وكأننا نحن الشخوص الأصليين، سوى أن كان ذلك ممارسة.. أو عن طريق ألحكي.. أو عن طريق التمثيل، أو الكتابة، بأي صيغة مقروءة..

كما أنّ القصص وبكل ما جاء فيها من خرافات.. أو أساطير.. أو بدع، فهي تهفو إلى غرس قيم معينة في المجتمعات، أو الابتعاد عن صفات.. وممارسات.. وخصال منبوذة، وكلها وفي مجملها.. نابعة من عصارة الأمة الواحدة، وكلها تعبر تعبيراً صادقاً على ما يجوس بدواخل أفرادها...

قد يتبنى معانيها البعض وينسبها لمن ينسب... أو يعضد بها ما ينشده قولاً أو فعلاً، وقد يتحاشاها البعض، بحسب رؤيته الذاتية.. وبحسب تفسيراته للأشياء، ولكنها في خاتمة المطاف.. فهي تحمل من المعارف ما يراود خيال كل منتمي للمجموعة الواحدة، فتصبح بذلك سلوكاً مشتركاً... وهو ما سيؤدي بها لأن تكون تراثاً قومياً.. في مقتبل الزمان.

من مضامين هذه القصص المتنوعة.. تنحدر الأمثال، التي تعبر عن مواقف حياتية مجتمعية، فالأمثال في مجملها تختصر كثيراً من السطور والفقرات، كي تدلل على سلوك أو معرفة.. تتضمن إرشاداً.. أو عظة.. أو توجيهاً.. أو تعديل نمط حياتي بعينه... فالمثل يحمل مقولة **(خير الكلام ما قل ودل)**، وقد يستخلص البعض..

omerelammas.com

بعض الجمل أو بعض التعبيرات.. التي ستصبح أقوالاً مأثورة مستقبلاً.. تصب في ذات الوعاء التراثي للمجتمع... ونقصد به هنا المجتمع السوداني.

تأتي وتصاغ القصص.. في قوالب.. وفي مقامات سردية.. تختلف من وقت لآخر.. أو من موضع لغيره.. أو من صياغة لأخرى.. أو من أسلوب لأسلوب.. فمنها ما قد يحكى كما هو مألوف في الأحاجي، بمضامينها المختلفة... الدينية منها والاجتماعية...والثقافية، وهو النوع اللفظي من القصص.. والذي غالباً ما يحكى للصغار من البنين والبنات ليلاً.. وغالباً ما تقوم النساء بطرحه بشكل درامي.. ونقصد بالنساء هنا **(الحبوبات)** أو **الأمهات، أومن يحذو حذوهن من الخالات.. والعمات.. والأخوات الكبار...**

كثيراً ما تتضمن قصص الأحاجي ..الكثير من الخرافات مثل **(الغول)**.. ومثل **(ود أمبعلو)..** ومثل **(النسناس)**.. ومثل **(الشكلوتة)..** ومثل **(الصقور الكبيرة)**.. أشباه **(تيلنق أب صلعة)..** التي لا ترى إلاّ في الخيال.. ومثل **(البعاعيت)** جمع **(بعاتي)...** وغير ذلك مما هو خرافي.. يثير انتباه الصغار، ويدعوهم إلى تفهمه، ويثير مشاعرهم بالخوف.. أو بالتوقعات الشجاعة.. أو تلك التي تدعو إلى الإحباط..كما تتناول الأحاجي قصص البطولات والفروسية...فهي تربوية تعليمية في المقام الأول.

أصبحت مثل تلك القصص تدرّس ضمن مناهج التعليم النظامي **(المدرسي)**، عن طريق ألحكي.. وعن طريق التحليل الكتابي أو القرائي، مع استخلاص العبر والمعارف اللاّزمة، ومما هو مؤسف.. فالمعلم وفي متابعته العلمية تلك.. لا يدرك أنه يقوم بتحليل الوجه التراثي لتلاميذه، بل يقف عند تلك الخلاصة التي توصل إليها من القصة، فكان وعلى أقل التقدير.. أن يعطي التلميذ جملة واحدة... يغطي بها كل مجهوداته القصصية تلك، ألا وهي:

(دا من التراث السوداني).

omerelamin.com

نحن نعلم جيداً.. أنه وفي وقتنا هذا.. أنّ معظم خريجي الجامعات اليوم، لا يدركون معنى كلمة تراث، مع أنهم يتلفظون بها كثيراّ.. وحتى بعض الكبار منا لا يعرفون عن التراث السوداني القومي الكثير.. وذلك إما لغياب المضمون التراثي عن المنهج الدراسي، أو عزوف مقصود عن الأسس التربوية للمجتمع.

معظم مجتمعات العالم.. وحسب ما شاهدت، تهتم اهتماماً بالغاً بتراثها.. فما تشاهده من وقائع ملموسة.. أو ما تتوصل إليه من آثار الثقافات المقروءة ..أو المسموعة.. أو ما تلمسه من سلوك مواطنيها، يوحي لك.. بأنّ هنالك نمطاّ خاصاً من الحياة لدى هذه الأمة.. وهو ما نعرّفه نحن بالتراث..

عليه وجب أن نهتم رسمياً بالتراث القومي السوداني... كي يصبح منهجاً قائماً في التعليم.. وتخصصاً منفرداً... علينا إنشاء وزارة... **تسمى.. (وزارة التراث القومي السوداني)**، وبذلك نستطيع أن نؤصل لقوميتنا ونزرع بذرة النمو.. والتطور... والتحدي، في نفس.. وفي وجدان.. وفي رؤية.. المواطن السوداني، أمل الأمة ومنارة مستقبلها.

مثلما للقصص من وجود في التراث السوداني... فقد نجد مضامين تراثنا في أشكال.. وأنواع متعددة، متعلقة بحياتنا وما يدور من حولها، ففي الشعر بأنواعه تراث.. وهو يعد من أكثر أنواع التراث أثراً.. فيما يهدف إليه، من معاني، وهو يشمل أشعار ما عرف **ب..(الدوبيت)**.. وما يعرف بالشعر المقفى.. في القصائد الشعرية.. العمودية.. الطويلة، كما نجد تراثنا في السجع.. وفي المأثورات من الأقوال.. وإلى غير ذلك من الأنماط الأدبية الشعرية...

يتجلى تراثنا أيضاً في العادات.. والتقاليد.. والصفات، الخاصة بالمجتمعات السودانية، المتعلقة بنشاطات حياتها المختلفة..

كما يتجلى تراثنا أيضاً في المجال الديني... بصفة واضحة، مثلما هو في الممارسات التعليمية في الخلاوى، والمعارف الناتجة عنها... من حفظ للقرآن

omerelamin.com

الكريم... وإلمام بآداب السلوك الديني القويم.. والاجتماعي السليم، إلى غير ذلك من الفضائل.

كما نجد التراث في العاب الصغار.. وألعاب الكبار.. ومجالات التسلية.. والرياضة، بل نجده في كل نشاطات أنماط الحياة المجتمعية.. من آليات، وأدوات، ووسائل، وأواني، ونظم متوارثة.. وآمال مشتركة.. ورغبات وتطلعات متشابهة.. في كثير من أهدافها.. ومعانيها.

يسرني أن أشير عزيزي القارئ... إلى أحد كتبي السابقة عن التراث **السوداني بعنوان:**

"قطرات من التراث السوداني."

(بجزأيه الأول والثاني)

فستجد فيه الكثير مما تتطلع إليه، من تراثيات ثابتة.. ومتحركة، علها تشفي غليلك.. وترضي بعضاً، من تطلعاتك التراثية الطموحة.

إنّ التراث عزيزي القارئ... متوافر، وليس من الصعب الحصول على مضامينه، في عصرنا هذا... عصر التكنولوجيا، الغنية بأجهزتها.. وأدواتها المتعددة.. من وسائط ... وطرائق، تلك التي تقرب كل بعيد.. وتوفر كل مبتغى، إنما تكمن الصعوبة في حفظ هذا التراث، والاستفادة من محتوياته.. بكونها قوة دافعة للترقي وللتطور.

omerelammas.com

بسم الله الرحمن الرحيم

خلوة الشيخ أحمد

(الصفيراية)

(في قوزك هناك...

دايرين الوصول...

سلمنا القياد... رمينا الحمول)

(من ديوان ود العماس)

في ضحى ذلك اليوم، الذي يتوسط أيام الشتاء البارد والجاف في ذات الوقت، تيممت صوب قرية **(الصفيراية)**... مشياً على الأقدام، وأنا بن الخامسة... متلفعاً بتلك **(الفتقة)**، وهي من القماش **(الدمورية)** التي لا يزيد طولها عن الذراعين... وعرضها يفوق الذراع قليلاً... وهي التي كنت استخدمها كغطاء شتوي، أو صيفي.

كان**(العرّاقي)** الذي أرتدي... ضافياً، يتمدد إلى ما بعد أسفل ركبتي...يسدل على ساقين عاريتين، تندس القدمان منهما... داخل حذاء كان يعرف **ب (الباتا)**، وهو اسم لا زال باقياً... وإن تجددت أنماطه، وتزين بالزخرف والأوسمة الزاهية...وخالطته **(الكعوب)** متعددة الصفات والتشكيلات...

إلا أنّ **(باتتي)** في ذلك الزمان، مطلع الخمسينات من القرن الفائت، كانت تقليدية... بل ممعنة في التقليد، فهي تلك التي كانت سائدة... ومتسيدة للموقف... من قبل ظهور **(الباتا)** المعروفة **ب (جلد سمك)**، إلاّ أننا كنا نتباهى بلبسها، فهي خفيفة... تتفاوت ألوانها ما بين **(البني)** و **(السمني)**، وكانت مريحة في المشي السريع... أو الجري... **أو (الجكة)** أو حتى في **(القدلة)**، وتعد واقية وحافظة

omerelamin.com

لأقدامنا الهينة... في طفولتنا المبكرة تلك، **من الحجارة... و(الشوك)... و(القزاز)... و (الدراب)** الطيني المقوى...

بصفة عامة..كانت **(الباتا)** بمثابة نقلة جديدة لنا... من حالات المشي والجري ونحن حفاة... لا يوقينا مما هو منثور، و **(مشتت)** تحت أقدامنا، إلا الحذر والترقب... اللذان لم ينجيانا من **إنغراس أشواك (الهجليج) و (السنط) و (السدر) و (اللعوت)**... فكانت الشكوى الوحيدة الدائمة لدينا ونحن صغار هي: **(انكسرت لي شوكة في كراعي).**

واصلت المسير غرباً... في طريق تخللتها الشجيرات... متعددة الأنواع كشجيرات **(الدهسير) و (اللعوت) و (السدر) و (الطندب)** المتزاحمة... والمتلاصقة، والتي قد يصل طول بعضها إلى ما يوازي طول قامتي... أو إلى ما يعلوها بقليل، هذي البقعة هي التي تعرف عندنا في **(شبشة) ب (السويّل)**... وهي تتجاور **و (تروس)** أولاد **الشيخ أحمد ود أبو الحرم... و (الميعة)**، والتي تعرف **ب..(ميعة البجا)** وهي تتحيز الموقع إلى الجنوب من حي **(البجا)...**الذي يطل على **ترعة** مشروع **(التيجاني حمودي)** مباشرة بعد **(السويل)**، وذلك من قبل أن تشق قنوات **(جداول)**... مشروع **ود الحسن**، الصغيرة، المطلة على الحي...يروى هذا المشروع عن طريق رافعة **(طلمبة)** مائية صغيرة، تعرف **ب..(الطقيطيقة)** نسبة لما تحدثه من صوت متقطع وسريع... في شكل **(طقطقات)** مقارنة مع **(وابور التيجاني حمودي)** المائي... كبير الحجم.

يتحتم على سالكي هذا الطريق... المرور على موقع معروف باسم**.. (القدال)**، وهو نابع من اسم الشيخ **(القدّال)** الذي يتربع ضريحه... وسط غابة شائكة، من الشجيرات القصيرة... وخاصة شجيرات **(السدر)**، ذات الأشواك **القصيرة... الإبرية، المعكوفة، و(السنينة)، في ذات الوقت...** تلك التي تنغرس داخل الجسم في غير ما شفقة... وهي تتعمق في ذلك الإنغراس القاسي...مما يصعّب استخراجها **ب..(أخوي وأخوك)**...

omerelamin.com

كانت منطقة ضريح **(القدال)** مخيفة للأطفال من أمثالنا... حيث أننا لم نكن نتوقع الخير في ثناياها، وكثيراً ما أكد لنا أصحاب القصص الخرافية... أنّ فلاناً التقى **ب..(البعاتي)** هناك... وأنّ الثعابين الطويلة والسامة...لا تعيش إلاّ بداخلها، ويقال إنّ أحد **(البعاعيت)** التقى، في ليلة ظلماء كاحلة السواد، عمنا **(عوض الله ود ميمونة)**، إلاّ أنّه **(اتخارج)** منه... بحكمة، لأنه كان رجلاً فاهماً ومتعلماً... يجيد التصرف السليم...

مما يحكى عن الشيخ **(القدال)** (رحمة الله عليه)... أنّ نعشه أتى طائراً... وحط في مكانه، الذي لا يزال باقياً أمام منزل **(حسين ود بشير)...** بعد أن ذهبت الغابات القديمة، أدراج الرياح، ولم تتبق منها إلا شجرة **(هجليج)** واحدة قرب الضريح...

أصبحت تلك الشجرة الآن... نقطة تجمع لمن ينتظرون وسائل المواصلات، القادمة من الدويم... لتقلهم إلى مناطقهم، التي لا تبعد عن **(شبشة)** كثيراً...مثل **(الصفيراية).. و (عريك).. و (الشطيب).. و (المنارة).. و (الفحيلاب)، وغيرها من القرى المجاورة ل..(شبشة).**

تمدد الطريق أمامي كما الأفعى... فهو عبارة عن **(طرقات)** و**(طريقات)** ملتوية، تتخير مساراتها من بين الشجيرات الكثيفة ... في مسافات ضيقة، كنا نطلق عليها **(درب الحمير)**.

تقود بعض هذه الدروب... إلى البلدات، والمزارع، غرب **(الحلة)**... عبر **(التومات)**... وهما شجرتان متجاورتان... تقفان شاهداً على التأريخ، ومعلماً واضحاً...للوصف وتحديد الاتجاهات... في مناطق لها مسمياتها المتداولة... والمعروفة، لدى جميع سكان **(الحلة)**...وتلك المناطق **هي:**

(قوز النقارة) و (قوز الكدسة) و (الرقاش) وهي مناطق تحتل المساحة غرب **(القيزان)** الرملية، والتي تتميز بأراضيها الزراعية الطينية... الواسعة، وهي التي تتم فيها عمليات الزراعة المطرية... وبخاصة زراعة الذرة بأنواعها.

omerelammas.com

قادتني تلك الدروب إلى فناء واسع... يعرف لدينا **ب.. (السهلة)** أو **(الخلا)**... حيث تفرقت الحشائش والشجيرات عن بعضها، وأصبح السير في متاهات تلك **(الخلوات)** سهلاً... تتسابق النظرات أمام رجلي الواهنتين، وأظل أحسب ما قد تبقى من المسافة... بيني وبين ذلك الحلم المأمول **(الصفيراية)...** في صمت لا يشوبه إلاّ أزيز الريح، العادية من ناحية الشمال...والتي توالي رشقها لي ببعض ذرات رقيقة من الحصى... وبعضاً من ذرات **(السفاية)**، التي تسبل علي العينين ستاراً مؤقتاً... يحجب الرؤيا للحظات... يتخللها إرخاء الجفنين الواهنين... على العينين خوفاً من **(الوقيعة).**

لم أتعرف وقتها على أدوات القياس بالكيلومترات.. أو بالأميال، ولكنه في استطاعتي الآن أن أقول: إنما فد أصبح يحول ما بيني وما بين محطة الوصول تلك **(الصفيراية)...** إلا بضعة كيلومترات، لا يتجاوز عددها الستة إلا بقليل، وكنت ساعتها أقدّر المسافة وأقول لنفسي **(قرّبت)...** ويعني ذلك أن المسافة أصبحت قريبة، وهو نوع من التفاؤل المحبب، الذي يعمل على تجديد الطاقة...وإرضاء النفس...

واصلت مسيرتي من غير **(زوادة)** ولا ماء... إلا من عدد قليل، من تمرات اشتريتها من دكان **عمنا (يوسف ودعريبي)**، عليه رحمة الله، في السوق القديم، **ب.. (مليمين)** فقط، ويساوي هذا المبلغ خُمس **(القرش)...** إذ أن **(القرش)** يساوي عشرة **(ملاليم)...** وفي الريال الواحد عشرة **(قروش)...** أما **(الجنيه)** فيساوي مائة قرش... وقد اعتدنا على مثل ذلك النهج الحياتي، من غير **(زوادة)**... إلاّ ما ندر، طيلة أيام طفولتنا السعيدة آنذاك..

لم يكن لحمل حقيبة **(شنطة ملابس)**، أي معنى... لأن **(اللبسة واحدة وهي ملبوسة)**...وتتمثل في ذلك (**العراقي)** الطويل **(بدل الجلابية)**... كما لم يكن **ل.. (الزوادة)** أي معنى يذكر، وذلك لأني سأحل ضيفاً في دار رجل كريم... تقصّدته موفداً من فبل أبي، رحمه الله... لطلب العلم، المتمثل في حفظ القران الكريم.

omerelammas.com

ذلك الرجل المحسن هو الشيخ (أحمد ود الشيخ عوض الله ود النمير)... جدي من جهة أمي... فكلاهما (عريضاب)، ينتسبون إلى الشيخ عبد الله عريض، في (هجام)، أحد نواحي كردفان... لذا كنت مطمئناً.. وراضياً.. ومرضياً.

بدأت نواظري تتلاقح وبريق **(الصفيراية)** الواعد بالخير... عندما بدت أمامي كزهرة آسرة ... وجاذبة، فاجتهدت في المسير، وخالطني نشاط دافع، ودافق، ومتجدد... رغم ما خلفته لدي وعثاء السفر... من عناء، ورهق، وإعياء...

توقفت، وبلا إرادة تذكر، تحت ظل شجرة وارفة ظلالها... طالعتها وكأنها تدعوني للجلوس في فيئها... بعد انكسار شوكة البرد، ليصبح ظلها الممدود مضيافاً لمثل المجهدين من أمثالي...

راق لي وأنا جالس، أن أحشر أحدى تمراتي... في فم صام عن الحديث لساعات مضت، أدخلت يدي في جيب العراقي الأيمن... ولامست تمراتي...وتحسستها ملياً، فخرجت أناملي تحمل واحدة فقط، ومن ثم تأكدت أني قد دسستها بفمي الفارغ... وكانت تلك أفضل، وأغنى، وجبة طعام تناولتها... ولن أبالغ كثيراً إن **قلت:**

إنّ طعمها المتفرد... لعب تماماً بأحاسيسي،

وأنا منكب... أخط كلمات هذه الذكريات...

بعد مضي أكثر من خمسة وستين عاماً... انقضت عجلى...

منذ أن تناولتها.

عرفت فيما بعد أنّ تلك الشجرة الظليلة هي (شجرة ود عرور)، وهي تقع في وسط (بلاده)... وقت لم تصل بعد إلى هنا، ثقافة الري الصناعي، لتصبح البلاد (حواشة)، تستقي من ماء البحر (النيل)... دون أمطار الخريف، التي قد تخطئ

omerelamin.com

وقد تصيب، حسب المشيئة. نسأل الله الرحمة ل.. (ود عرور)، فذكراه عندي لن تنمحي أبداً... وأملي أن تكون تلك الشجرة الرمز... باقية حتى اليوم.

بدأت رحلتي نحو المبتغى... بنشاط وهمة زائدة، لاسيما وقد بدت أمامي **المنازل في الحمى... والناس... والدواب،** ففرحت فرحاً بلا حدود، وشعرت أني سأكون بين أهلي، لا تراودني خيالات الغربة... ووسواسها، كنت متفائلاً... ومتطلعاً، نحو آفاق مبشرة بالخير، وها أنا أدخل **(الصفيراية)**... دخول الفاتحين، والشمس قد مالت عن كبد السماء... ناحية الغرب، تنوي الرحيل..

بدءاً من موقع ديار ناس **(علي ود الجاك)**، في شرق القرية...يممت نحو مجلس **(الشيخ أحمد)**، وذلك حسب ما أوصاني به أبي (عليه رحمة الله). بدأت سيري من مدخل **(المسيد)** الشرقي حافياً... أتأبط **(باتتي)**، التي آلمها المسير كثيراً... فقد أمرت أن أفعل ذلك، إكراماً لأرض **(المسيد)** الطاهرة، بحسب أنها بقعة عبادة... نسبة لما يمارس فيها من **صلاة... وتحفيظ... وذكر.**

اجتزت أرض **(المسيد)** الواسعة الرحبة، متلهفاً، للقاء (**الشيخ أحمد) ذلك... الرجل العالم...العابد... الذاكر،** الذي ملأ صيته البقاع جميعا، لاسيما وأن مجيئي إليه كان قد أعقب أيام **(النفحة)** بقليل...

وجدت **(الشيخ أحمد)** جالساً بين **(حيرانه)** في **(الديوان)**، جلسة مودة وعلم، ألفيت ذلك من ناظريه... فعرفت أني جئت للرجل الصحيح... في المكان الصحيح**...**

(بركت) أمام **(الشيخ)** كما أشير لي بذلك من قبل .. وقبلت ظاهر كفه اليمنى الكريمة ... عرّفته بنفسي، وقد علمت من تلك المقابلة الودودة... أن أبي قد أخبره بمجيئي... فرحب بي... وأشار لي أن أذهب إلى الخلوة مع الطلاب... و أتناول طعامي معهم .. ومن ثم أعود إليه بعد صلاة العصر ...

omerelamin.com

ذهبت وتحسست مواطن وجود الطلاب... وجدتهم يأكلون، فشاركتهم الأكل بشراهة... فقد كنت جائعاً بالفعل، خاوي المعدة...إلاّ من تمرة وحيدة كانت تجوس حائرة...داخل أحشائي الفارغة، التي ارتمت فيها برغبة... وشوق... فريدين، بينما كانت ترقد هانئة في ظلال **(شجرة ود عرور) الحانية.**

توجهت لمجلس (**الشيخ**) بعد صلاة العصر... والذي يحتل مكانه... أمام مجموعة من بنايات **(المسيد)**... وكان يجلس على **(الككر)...** بركت أمامه فعرفني من غير عناء، وأشار للفكي **(إدريس)** بالجلوس أمامه، وأخطره بأن عمر دا هو **ود (القصّاد) محمد ود العماس** ..

انتهت المقابلة على ذلك... ولم استطع أن أفهم ما دار **بين (الشيخ)** وما بين فكي **(إدريس)**... فقد كنت أشعر برهبة... حالت بيني وبين إدراك ما كان يدور... من تبادل لتلك الكلمات الهادئة... وكأنها تهمس، في مجملها، فتوغل في نفسي، ساعتها، شيء من الاضطراب...ونسيان الذات، وتوجهت إلى حيث يجلس الطلاب..

وبدأت الدراسة:

في بداية الأمر أطلعت الفكي إدريس... على ما كنت أحفظ من القرآن... ذلك الحفظ الذي بدأته **ب..(مسيد الشيخ برير)** في **(شبشة)**، على يد الشيخ الورع **(الفكي حسين ود حاج أحمد)**... وهو جدي، إذ أنه خال لأمي، فكلاهما من آل الشفيع... وكان من جملة الطلاب الذين سبقوني في الدراسة والذين أصبحوا بمثابة شيوخ لي...

عبد الواحد ود الطاهر.. وأحمد البشير ود الفكي حسين.. وأحمد الطيب ود مكي..

وبانقا ود النور.. ومصباح ود عبد الله.. وعوض الكريم ود موسى.. وابراهيم ود الطيب ود أحمد (الكشيف).. ومحمد ود الطيب ود أحمد..وعباس ود عبد السلام.. ومحمد الأمين ود عبد السلام....

omerelammas.com

إلى جانب من هم في دفعتي...عمر ود الفكي حسين.. وأبو عبيدة ود الوسيلة..

والسيد ود عبد الله.. والطيب ود الطاهر.. وأحمد محمد ود موسى...

وأحمد ود الفكي حسين.. وعليش ود عوض الله...

وغيرهم الكثير.

انتقلت بعد ذلك... إلى **مسيد (الفكي ود الشيخ الصادق)**... وبدأت الحفظ أيضاً على يد **(الفكي مجذوب ود الشيخ الصادق)** في الحلة القديمة، ومن بعده على يد **(الفكي ايراهيم ود الطيب)**، في نفس **(المسيد)...**وممن هم سبقوني في الدراسة أذكر**...**

اللمين ود النور.. والتوم ود الفكي.. ومحمد ود ابراهيم..

وبرير ود الفكي.. وأحمد ود عبد السلام...

وأحمد ود آدم.. وعوض الله ود محمد علي..

وأمين ود عثمان ود أمين.

إلى جانب من كانوا من دفعتي...

الصادق ود الفكي.. وعوض الله ود عثمان (قليمة).. وأحمد ود النور.. ومحمد ود عوض الله.. و عوض الله ود أحمد محمد.. وبشرى ود آدم...

وغيرهم الكثير.

عرضت ما حفظت من سور القرآن الكريم...على (الفكي إدريس)، فأشار لي أن أبدأ دراستي من موقف محدد... لا أذكر تفاصيله، ولا أذكر من أين بدأت، لكنه كان يقع ضمن السور القرآنية المتقدمة من جزء تبارك... فواصلت حفظي تحت إدارة (الفكي إدريس) إلى أن توجهت في مقبل الأيام إلى المدرسة الأولية ب..(شبشة)....

omerelammas.com

جلست مع الجالسين من الطلاب... على الأرض... (وكنا صبياناً وحسب ليس بيننا فتيات)... منحت لوحاً خشبياً كبقية أقراني، وكان يحمل أول آيات قرآنية، كتبها الفكي (إدريس) بنفسه... ومن بعدها انضممت إلى طلاب التملية...

كان جميع الطلاب... داخل الخلوة... يتلون، كل على شاكلته... بصوت عالي... فتصبح الأصوات متداخلة، لا يستطيع المستمع أثناءها من تفريزها، وتحديد الآيات التي يقرأ فيها كل من الطلاب... لكن ومما يدهش ويستغرب له، أنَّ فكي **(إدريس)**، كان يسمعها ويدركها جميعاً... في ذات الوقت، وبالتفصيل، فكان يوجه إرشاداته للجميع وللأفراد... مصححاً للأخطاء... ومرشداً للقراءة الصحيحة، وقد يتبع ذلك التصحيح... تلك اللسعات الساخنة من **(سوط العنج)**، الذي لا يهنأ بالراحة أبداً، فهو دائم التعلق بيد الفكي... وفي حالة استعداد تام لأداء مهمته.

كلما خفتت الأصوات في القراءة... يرفع الفكي **(سوطه الجلدي)** إلى أعلا، ويقول أثناء ذلك: **(ها...ها،،،ها)**...في قالب تحذيري، والتي يعني بها **(أرفعوا أصواتكم)**...وبذلك تتعالى الأصوات أكثر وأكثر... ويزداد حماس الطلاب، وترتفع هممهم، لأداء أفضل... وفهم لما يقرؤون... وحفظ أسرع.

لا تجد الجمل من الآيات المقروءة صعوبة، في الوصول إلى مسمعي الفكي... وهو جالس أمام الجميع... لم أشهده باسماً طيلة وجودي معه، يصوب ناظريه، في فراسة غير معتادة، بيمناه مسبحته... التي لم أرها أبداً معلقة إلاَّ بأصابعه، وبيساره ذلك السوط الجلدي**...(سوط العنج)** المخيف، الذي أشرت إليه... والذي لا يتوقف عن رشق الطلاب من حين لآخر... إذا ما تكاسلوا أو تقاعسوا عن التلاوة... أو خفتت أصواتهم وهم يتلون.

كان المشهد محشواً بالرهبة، وبالخوف، وبالرغبة في تلقي العلم، الكل يركز ببصره في لوحه الخشبي... الذي يظل يحتضنه على فخذيه، يتابع القراءة وهو يتنقل من حرف لحرف، ومن كلمة لكلمة، في تكرار متوالي... حتى يتمكن من حفظه عن

omerelamin.com

ظهر قلب، وبذلك يكون قادراً على عرضه للفكي، وذلك برفع يده الراجفة... الواجفة...والمترددة، مابين رفعها أو عدمه، خوفاً من انزلاق ذلك السوط المشهر أمامه... على رأسه أو أي مكان متوافر **للفكي**، من جسده....

للحقيقة العلمية... فإنّ التكرار في قراءة النصوص...مع التلقين الصحيح، دائماً ما يساعد على الحفظ المتقن... فيأتي ما يقوم به الفكي تجاه طلابه... في عملية التحفيظ، من صميم العملية التعليمية... وهو عين ما نرمي إليه. فمن أبجديات دراسة القرآن الكريم، في المقام الأول، حفظه عن ظهر قلب... وهذا ما نلحظه ممارساً... في منهج التعليم في الخلاوى... في السودان قاطبة.

مما هو جدير بالإشارة إليه... فإنّ لسع ذلك السوط كان قاسياً... ولاذعاً، تتوقد على أثره نيران حارقة... وشعور برجفة يعز عليّ وصفها...وخاصة عند البكور وفي ساعات الشتاء... لكنها تظل باقية طوال العمر، وهو ما نعاني منه نحن الآن، جيل الأربعينات...

لقد طافت بي الأيام في مقامات الحياة المختلفة، وتذوقت فيها ما يحلو... وما هو مر المذاق، لكن لسعات ذلك السوط التي لا تخطئ مواقعها... هي الأشد مرارة، وأبقى أثراً، غير أنها و في ما تتالى من سنوات العمر... أصبحت ذات فائدة كبيرة لنا، حيث قادتنا إلى ساحات من التعلم... ومن المعرفة... تجددت فيها مساراتنا الحياتية وخطت بها إلى الأمام.

لقد عرفت... من بعد أن تباعدت بيني وبين **(الخلوة)**... في **(الصفيراية) المسافات،** وبعد أن تتالت سنوات العمر... تتقافز إلى الأمام... من غير رجعة، عرفت أنّ **(فكي إدريس)...** كان يتعامل معنا، نحن الدارسين، بالمقولة التي **تقول:**

(ليك اللحم... ولينا العضم)...

omerelamin.com

رحمك الله **(فكي إدريس)**، فقد أوفيت المقولة حقها، ونحمد الله كثيراً... أنا رجعنا لأهلنا بعد ما **(كمل لحمنا)**... لكني أقر بأنّه كان لحماً فاسداً... حمدنا الله على زواله.

تتمثل عملية العرض **(التسميع)** في **ما يلي:**

١- أن يجلس الطالب أمام الفكي (في أدب واحترام) رافعاً لوحه.. مواجهاً للفكي بالصفحة التي تحوي الآيات المراد تسميعها.

٢- يبدأ الطالب في التلاوة... متوخياً الدقة والحذر الشديد.

٣- تغسل (تمحى) الآيات بالماء بعد إجازة العرض.

٤- تكتب على الصفحة الخالية تلك، الآيات الجديدة التي تليها...بواسطة الفكي أو الطالب إن كان قادراً على الكتابة بالتملية من الفكي.

٥- من لم يجز الفكي عرضه... يؤمر بتجويد حفظه، ومن ثم يعرضه مرة أخرى... بعد أن يتلقى بعض لسعات من السوط المسلط على وجهه.

نسأل الله للفكي **(إدريس)** الرحمة... والغفران، وأن يتقبله القبول الحسن، وأن يسكنه فسيح جناته... مع الصديقين والشهداء. فقد أعطى الكثير ولم يبق، كما نسأله أن يكون ما حفظناه... وما تعلمناه منه... زاداً له في آخرته... وثقلاً في ميزان حسناته.

إنَّ للخلوة نظاماً دقيقاً، يوحي بأنَّ التعليم في الخلوة تعليم **(نظامي... ومنظم، له أسسه.. وطرائق تدريسه.. وأوقاته المحددة) ...** وليس كما يرمي به البعض، بأنه تعليم عشوائي أو تعليم غير مقصود...

إليك عزيزي القارئ بعضاً من تلك الأسس التي يتمتع بها هذا التعليم النظامي...

omerelamin.com

كما هو معروف... **فهو أول نظام تعليمي، يطبق بعد الفتوحات الإسلامية، ودخول العرب للسودان... في أعقاب تلك الفتوحات.**

أولاً:

الدراسة:

تنقسم ساعات الدراسة إلى فترتين... **وهما: الفترة الصباحية.. والفترة المسائية..** مع اعتماد يومي الخميس والجمعة عطلة رسمية... تمتد الفترة الصباحية من بعد صلاة الصبح مباشرة... وحتى قبيل صلاة الظهر، أما الفترة المسائية فتبدأ من بعد صلاة العصر... وحتى موعد صلاة العشاء، وتشتمل الفترتان على أنشطة الحفظ... التي تعتبر المقرر الرئيس في الخلوة، يتخللهما أداء الصلوات المكتوبة...

تفصل الفترتين فترة استراحة... حيث يأوي الطلاب لأماكن سكنهم... أو إلى شئونهم الخاصة، أما نشاطات الكتابة على الأرض **للأبجدية...** أو **الأرقام الحسابية**... فتتم ما بين الفترتين، في غالب الأمر، يقوم بالإشراف عليها الطلاب المتقدمين في دراستهم... وهم من كبار السن، فكنا نتعلم أشكال وكتابة الحروف الهجائية، وحركات الهجاء المعروفة، مثل **الضم.. والنصب.. والكسر**، التي كانت تملى علينا... بطريقة تقليدية جاذبة، فمثلا **لإيضاح حركات الهجاء لحرف (الباء) مثلاً، يقال لنا:**

في حالة الرفع:
(بو جاب واو)...

وفي حالة النصب:
(با جاب ألف)...

وفي حالة الكسر :
(بي جاب ياء)...

omerdiamas.com

كما كانت تدرس لنا بطريقة أخري... تعلمنا من أسلوبها، أسماء الحركات الهجائية .. ومواقعها.. وأنواعها، فمثلاً:

بو رُفع...في حالة الضم.

با نصب... في حالة النصب.

بي خفت... في حالة الجر.

يتبع ذلك... الإشارة لموضع تلك الحركات الهجائية، في الأحرف أو في الكلمات المراد تعليمها.

كما كنا نتعلم منهم... كتابة الأرقام الحسابية المختلفة، **في (خانة الآحاد.. وفي خانة العشرات.. وأيضاً في خانة المئات)...**

كنا أيضاً... نتلقف كل ذلك بفرح غامر... وكنا في بعض من الأحايين نخلط الأحرف خلطاً عجيباً... لنستل من بين ذلك كلمات نتباهى بها... ونظنها صعبة القراءة... على بعض من الطلاب... وهي في الغالب كلمات ليست ذات معنى **مثل:**

(سنتسبنتسنتبنتشيخنا)

وبعد تفريق الكلمات عن بعضها تقرأ كالآتي:

(سنتُ سبنتُ سنت بنتُ شيخنا)

إنها توحي بروح التطلع لتعليم أفضل... ورغبة في التجديد، وفي الإبداع... وفي إبراز المواهب.

من ذلك الخلط العجيب ما يلي:

omerelamnas.com

(شجرتالقحوالقحيوالقحقحانيلايقحقحهاالاالقحقحاني).

وتقرأ بعد التفريق كالآتي:

(شجرة القُح والقُحي والقحقح والقُحقحاني لا يقحقحها إلا القحقحاني)

إنها أيضاً لا تحمل معنى معروفاً... إنما هي فضفضة، وتسلية، تبرز التمكن من الكتابة... والإعجاز فيها...والإدراك، حسب الفهم العام للطلاب.

من بين الطلاب الذين سبقوني في الخلوة... حمزة ود الشيخ أحمد.. وعوض الله ود الشيخ أحمد.. والجيلي ود الشيخ أحمد.. والنور ود المقدم خالد.. والفكي عيسى.. وقاسم ود الأمين (اللمين) ود حسن...وحسن ود برير ود حسن...ومبارك ود بشير...ودفع الله ود بلال ود كاسر...والتوم ود المقدم حسن...وأحمد ود وهب الله ود أبسن...

أما ممن هم في دفعتي، من (شبشة)، دفع الله ود البصير.. والطيب ود ابقرجة.. وخضر ود بلول.. وفتح ود بشير...وغيرهم...

ومن القرى الأخرى... محمد ود بابكر ود جاه الرسول.. وعوض الله ود المقدم خالد.. ومحمد ود البدوي.. من (أبعرة)..والطيب ود أحمد البشير.. من (أبعرة)...

والشفيع ود الجاك من (الصفيراية).. وعبد الحليم ود علي ود الجاك.. من (الصفيراية)، و محمد صالح ود العبيد.. من (الصفيراية)، والفاتح ود الشيخ أحمد.. من (الصفيراية)، وبرير ود الشيخ أحمد من (الصفيراية) وغيرهم الكثير.

كان **حمزة ود الشيخ أحمد**... هو أكبرنا سناً وأكثرنا حفظاً للقرآن، وقد ختم القرآن الكريم في بدايات دخولنا للخلوة ... وأوفد لأم درمان لتلقي العلم، وعاد بعدها ليصبح خليفة **الشيخ أحمد...** من بعد وفاته (رحمهما الله).

كانت **(الشرافة)**... من أهم النشاطات التي نقوم بها... وهي عندما يصل موقف أحد الطلاب في الحفظ... إلى سور قرآنية محددة... مثل سورة **البينة**

omerelammas.com

(لم يكن).. أو **سورة الأعلى (سبح)..** أو سورة **الملك (تبارك)**.. أو سورة **المجادلة (قد سمع)**... أو سورة **يسن**... وسور أخرى كثيرة، تمثل أجزاء معينة من القرآن الكريم...

كنا نقوم بكتابة بعض آيات تلك السور... على **(اللوح)**، والتي تتم زخرفتها **ب..(الزيلقون)**... أو بالعمار، فيصبح بذلك شكل **(اللوح)** جميلاً وباهراً... أمام من يشاهده...

يقوم بعض الطلاب... بالطواف على المتاجر... على قلتها، وعلى أماكن البيع... بصفة عامة، وعلى بعض المنازل... عارضين ذلك **(اللوح)** المشرّف... وهم **يرددون:**

(الما بدينا حق الشرافة... بالعقرب النتّافة)

إلى جانب مأثورات أخرى **مثل:**

(ربوح ياربوح...كلب العرب المنبوح)

و

(فاطمة يافاطمة... فاطمة بنت النبي)

هم بذلك الفعل... يجمعون بعض المأكولات كالبلح...والحلوى، وغيرهما... أو النقود، وتوزع هذه الخيرات المباركة... على الطلاب، كحافز.. وتغيير محبب لديهم، ومن ثم تمحى **(الشرافة)** من **(اللوح)...** ويواصل الطلاب دراستهم المعتادة في الحفظ.

كثيراً ما يسأل الطالب منا... من بعض الأهل، كنوع من أنواع **(فتح باب الحديث)** بهذا **السؤال:**

(لوحك وين؟)

فيجيب مثلاً:

omerelammas.com

(شرفت سبح)

تعبيراً مستطاباً... يحمل التشريف، ويوحي بالتقدم في الحفظ... وهو كثيراً ما يجد الاستحسان الكامل، من طارحي السؤال.

إلى جانب ذلك... كنا نشارك في حلقات الذكر الصباحية... حينما نتحلق مع الحيران **(الفقرا)...** في دائرة تكبر أو تصغر... وفقاً لأعداد الحاضرين من الذاكرين، تهزهم **إيقاعات (النوبة) ورنات (الطار)** المرنّة... وكنا نردد أثناء ذلك لفظ الجلالة **(الله...الله...الله)**، بتمايل.. وانحناء خفيف.. إلى الأمام، ينم في مضمونه... على الطاعة والامتثال، إلى أمر الله عز وجل...

يتفاوت نطق اسم الجلالة، أثناء الذكر، ما بين الثقيل **(التقيل)..** والخفيف، تبعاً لسرعة إيقاع **(النوبة)..** وإيقاع **(الطار)**، وأداء **(القصّاد)...** ففي الخفيف، الذي يعقب الثقيل دائماً، يزداد حماس الذاكرين... وتخف أجسادهم... وتتحرك بخفة... على ما هو غير مألوف... وذكر الله لا ينقطع عن ألسنتهم، على الإطلاق.

كان يؤم حلقات الذكر الكثير من الحيران... **من (الفقرا) (القُدام)** ومن **(الجُداد)...** من مختلف الأعمار، وكانت تضيق بهم ساحة **(المسيد)** في المناسبات الرسمية... كما كان مشاهداً في العيدين...

كنا ونحن في حلقة الذكر... نسمع من بعيد، أصوات قادمة... تنشد بما هو معروف **ب..(شيل الدايم)**... الذي يجري على ألسنة القادمين وهو ذكر يقول:

(الله هو الدايم ...يا ألله هو الدايم...
كريم هو الدايم... يا الله هو الدايم)...

إنّ كلمة **(هو)**... لا تنطق كما هو المعتاد في نطقها، بل تنطق بالتخفيف في نطق الواو... أو بلفظه وكأنه ضمة تميل للفتحة.

omerelamin.com

يكرر هذا المقطع، طيلة المسيرة إلى حلقة الذكر... فهو يوحي بقدوم موكب **(الشيخ أحمد)...** للمشاركة في هذا الذكر الجماعي...عند ذلك يفتح للموكب الكريم، جانباً من الحلقة... التي تتلاصق أطرافها من الذاكرين، مع السور الخارجي ل..(لمسيد)، على كبر مساحته واتساعها ...

بقدوم الموكب، يشتعل **(المسيد)** كله بالصياح.. والتكبير.. والتهليل.. والزغاريد... فيهيج **(المسيد)** بمن فيه ويموج... وبكل ما يوحي بحرارة الاستقبال، لذلك الموكب الروحي المهيب.

يدخل الشيخ أحمد حلقة الذكر... تتقدمه مجموعة من **(الفقرا)**، من حاملي **(سيوف الخشب)** و **(الرايات)...** يتبعهم **المنشدون** الذين يحملون عصيهم الطويلة... ويرتدون **(الجلاليب) المرقعة، والمبروزة**... وهما في الغالب اثنان لا ثالث لهما... **بشير ود ابراهيم و سنوسي ود محمد علي ود كرم الله**...

إلى يمين **(الشيخ)** وإلى يساره...أربعة من كبار **(الشيوخ) و (الفقرا)**... أذكر منهم **الشيخ دفع الله و اللمين ود حسن و الفكي حسين ود حاج أحمد و الفكي حسين ود حسن...**ومن خلف هؤلاء النفر الكريم... يأتي **(القصاد)** وأذكر من بينهم **محمد ود العماس و بشير ود الشفيع**... ومن خلفهم مجموعة من **(الفقرا)** والذاكرين... و **(دقاقي النوبات)...** وأذكر منهم **حسن ود الياس و التوم ود المقدم حسن**...

يتحرك هذا الركب الذاكر... في خطوات منتظمة، وهادية، الكل منهم يلهج بذكر اسم الجلالة إن كان ثقيلاً أو خفيفاً... فإن نظرت مجيلاً ناظريك، في متاهات **(حلقة الذكر)**، في هذا الأثناء...رأيت عجباً، فإنك ترى القوم صرعى... ما بين من هو يقفز.. ومن هو يجري.. ومن هو يترجم، في نشوة.. ولطافة.. وطاقة واثبة، لا تعرف الخور، فالكل مشغول بما هو فيه، تلمهم وتجمعهم جميعاً... تحت سقف واحد، وفي كنف واحد، وفي كلمة **(الله)** المتكررة منهم... في توالي منتظم... وإيقاع فريد.

omerelamin.com

كان منزل **الشيخ دفع الله ود الشيخ عوض الله... ومنزل الشيخ الخاتم ود الشيخ عوض الله...** المجاوران **ل..(المسيد)**... يمثلان مزاران هامان... لدى **(الفقرا)**، في المناسبات.. وفي غيرها من الزيارات **ل..(الصفيراية)**، وكان الشيخ دفع الله يؤم حلقات الذكر كثيراً.

مما عرفت... من منازل ومساكن، لبعض من أهل **(الصفيراية)**... إضافة لما ذكرت مسبقاً**...**

بيوت أولاد علي ود حامد...وبيوت أولاد أبسن... وبيوت أولاد فرح... وبيوت ناس البدوي ود سليمان ... وبيوت أولاد سلمان...وبيوت أولاد الجاك... وبيوت ناس بشير ود احمد... وبيوت أولاد الربيعي...

بيوت ناس ود المصري... وبيوت ناس ود تنيبور... إلى جانب بيوت (الفقرا) الكبار.. الذين ذكرتهم من قبل... وغيرها الكثير من مواطن سكن أهلنا الكرام.

كان معظم **(الفقرا)** من **(المرقعين)**... ومن **المبروزين)**،وهم أولئك الذين يخيطون قطعاً ملونة...على جلابيبهم، أو **(برواز)** بلون يخالف لون **(الجلابية)**...وهم أيضاً الذين يلبسون **(الطواقي) (المرقعة)**...ذات الألوان المتعددة، وأذكر من بين **(الفقرا)** من سكان **(الصفيراية):**

المقدم حسن ود كرم الله... والمقدم أحمد ود فتاحة... والمقدم أحمد... والمقدم فضل... وبلال ود كاسر... وأبوتميمة... وحسين ود حسن... واللمين ود حسن...و برير ود حسن... وعبد الرازق ود حسين... ودفع الله ود عبد الرازق... ومحمد ودكوكو... و مصطفى ود وهب الله ود ابسن..

أما الحيران من خارج **(الصفيراية)**... فجلهم من **(شبشة)** وأذكر منهم على سبيل المثال، من **حيران (الشيخ عوض الله ود النمير)...** وممن سلك منهم على يد **(الشيخ أحمد)...**

محمد ود العماس (الشاعر و القصّاد)... وبشير ود الشفيع (الشاعر و القصاد)... و عبد الرحمن الخوجة (قصّاد)... و إبراهيم ود الخليفة (قصّاد)... و محمد يوسف عريبي (قصّاد)...

omeralmas.com

والمقدم محمد ود اسحق...والمقدم حسن ود المادح...و النور ود أحمد ود فضل الله (الجراري)... وعبد العاطي ود ابراهيم... و البلال ود الفكي حسين... ومحمد ود الفكي حسين... وعوض الله ود عبد الرحيم... وبلول ود الكيلو... وعبد الله ود الياس...

وحاج عوض الله ود عبد الله ... وأمحمد ود عمر... وحسن ود الياس (دقاق النوبة)... والطيب أبو غبشة... والنور ود محي الدين... وموسى ود سكاك...ومختار ود حاج الطيب...

وبشير ود ابراهيم (الشاعر المنشد)... وسنوسي ود كرم الله (الشاعر المنشد)... والطيب ود بشير ود ابراهيم (أمين السر)... والجيلي ود بشير... و محمد ود عبد السلام (أبو قرين)... وعبد الله ود آدم...

وآمنة بت عمر... وأم بلينة بت رابح... وسعيدة بت رابح... إلى جانب أعداد أخرى من الرجال ومن النساء، لا يمكن حصرها....

ومن المنارة (أبعرة) المقدم خالد... وأولاد الدليل... وخاصة فضل المولى ود محمد أحمد... و أولاد ود باعوا لزين.. وعبد الله.. وابراهيم... وأولاد ود الكديكر... من (الفحيلاب)، وبشير ود البلولة... من (الفحيلاب)، ومن (عريك)، ومن (الشطيب)، ومن (كردفان)...ومن (الدويم)...

كان من صفوة... و من كبار مادحي **(مداح) الرسول**...الأمين، (صلوات الله وسلامه عليه)... الذين يؤمون مجلس **(الشيخ أحمد)، المادح الطاهر...و المادح عوض الجيد...و المادح أحمد...**وكانوا مكان احترام... وإكرام، من **(الشيخ)**... لما يجللون به أركان **(المسيد)** من مدائح نبوية...لا زال صداها يرن في آذاننا (رحمهم الله جميعاً).

كانت حلقات الذكر عامرة **ب..(الفقرا) و (المريدين)...** يسود الجميع حماس دافق، في ذكر الله، حتى أنّ بعضهم يصل إلى درجة فقدان الوعي... ويتفوه بكلام غير مفهوم، يعرف **ب..(الترجمة)**... ويتبع ذلك حركات مثل القفز في الهواء... والجري... **و (قلب الهوبة)**... وضرب الذاكرين... وقد ينتهي في كثير من الأحايين، إلى الإغماءة، وإلى الارتماء على الأرض،

omerbammas.com

داخل حلقة الذكر، ويعرف مثل هذا السلوك **ب..(الحالة)**...**ويقال كثيراً أنّ فلان جاتو (الحالة)...أو شالتو (الحالة)...**

مما أذكر من (الحالات) المشهودة، والتي لا زالت تعشش في خيالي... حالة عبد العاطي ود ابراهيم... وحالة الطيب (أبوغبشة)... وحالة عبد الرحمن (الخوجة)... وحالة محمد ود احمد ودكوكو... وحالة آمنة بت عمر...وحالة سعيدة بت رايح... وحالة بلال ود كاسر. ...وحالة عبد الله ود الياس...

أذكر من بين الفقرا درويش **(مرقع)** اسمه **(علي)**... مصاب بعلّة في أنفه، ففي حديثه **(نخنخة)...** لا تفارقه على الإطلاق...كان **(علي)** كثيراً ما يهيج ويفقد صوابه... إذا ما وقعت على مسمعيه كلمة **(اللألوب)**... وهي كلمة تكنى بها الألفية **(سبحة اللألوب)**...وهي المقرونة دائماً، بذكر الله في الخلوات والجلوات...

إذا ما أراد أحد **(الفقرا)** مداعبة **(علي)** هذا...فما عليه إلاّ أن ينادي وبصوت عالي، متفوهاً بكلمة **(اللألوب)**... فساعتها يقذف **(علي)** بما هو بين يديه... أو بما هو بالقرب منه...في المتناول، تجاه ذلك الصوت المنادي، وهو في ثورة عارمة... تتخللها حركات هياج... هستيرية، يتفوه أثناءها بكلام غير مفهوم للكثيرين، ويعتبر ما يلم بعلي من مثل هذه التصرفات... نوع من **(الحالة)** إلاّ أنها من النوع الخفيف بعض الشيء...

بعد وفاة الدرويش **(علي)** تحول سلوكه هذا... **ل..(آدم ود البشير)**... الذي أصبح يكنى **ب..(اللألوب)** أيضاً، إلاّ أنّ **(آدم ود البشير)**... لم يكن يقذف بالأشياء، تجاه الصوت المنادي... إنّما كان **(يترجم)** فقط...اللهم أرحم **(علي)** الدرويش و **(آدم)** المترجم... فقد كانا في صفاء ذاتي... عميق... وطاهر.

كان القوم جميعاً في **(المسيد)...** يتناولون مثلنا، نحن الطلاب، وجباتهم الرئيسة... في داخل **(المسيد)**، والذي كان يعد إعداداً كاملاً... بواسطة **الحوارات، والجارات، والمتطوعات...** إلى جانب **(المقدمين)** الذين يقومون ويقفون، على تنظيم مسارات الأكل... بحيث يتحصل جميع الحضور على وجباتهم...

omerelamnas.com

في مثل هذه المناسبات...كان جل الطعام عبارة عن **(عصيدة)** فهي توضع داخل **(القدح الكبير)** والمعروف **ب..(القدح أبخرس)...** وهو **مقعر (منجور)** من الخشب... له ثلاثة حلقات كبيرة من المعدن، على حافته الدائرية العليا... لتساعد في حمله... وفي تحريكه، من مكان لآخر وذلك لثقله وهو مليء **ب..(العصيدة)...**

عادة ما يجلس حول ذلك **(القدح)...** ما بين عشر إلى خمسة عشر شخصاً... يتناولون ما شاء لهم من **(العصيدة)** الساخنة... **ب..(ملاح الشرموط)**، أو **(ملاح الروب)** أو غير ذلك من **(الملحات)**... يتناولونها في شكل **(لُقم)** متتالية، **(أكل فقرا)**... يتميز بالسرعة، وبالرغبة، فهو يعد طعام خير وبركة.

في كثير من الأحوال... يضيف **(الفقرا)** لبقية العصيدة **(الموية)**... إذا ما **(كمل) (الملاح)**، فتعجن وتؤكل بشراهة... من غير إضافة ملح، أو بهارات، يستمر القوم يأكلون...حتى يصبح ما تبقى في **(قعر) (القدح)**...**(ربوب)**..والذي **(يلغف)** بعد ذلك **(لغفاً)** بصوت مشهود...

يحمد الجميع ربهم الذي أشبعهم... ومنحهم هذا الخير... كم كانت الحياة حلوة... وصافية... وصادقة، وكم كان الناس عابدين لله بالفطرة... وكم كانوا يتصدقون بلا قيود، في سبيل الله...رحم الله من مضوا... ورحمك الله أبانا (الشيخ أحمد ود الشيخ عوض الله).

كنا نؤم مجلس **(الشيخ أحمد)** كثيراً... نتلقى الكثير من المعارف والإرشادات التربوية، وغيرها من النصائح، وما نحتاجه في ممارسة حياتنا الاجتماعية، علماً بأن الدروس التي يلقيها الشيخ على مسامعنا... لم تكن تخصنا... نحن الطلاب فحسب، وإنما كانت تخص الجميع كباراً وصغارً.

تعلمنا من خلال تلك المجالس...الطيبة، ونحن في تلك السن المبكرة من العمر... أسس الصلاة، والعبادة، والذكر، وبعضاً من سيرة الرسول الكريم...(عليه صلوات الله وسلامه)، وبعضاً من سيرة الآباء من السلف الصالح... وكرامات الأولياء، وكثيراً من الأحكام الإسلامية... والمواقف

omerelammas.com

المشهودة... عند الصحابة، وعند أولياء الله الصالحين...وغير ذلك الكثير...مما دفع بنا لأن نكون من المبرزين...عندما اقتحمنا دنيا التعليم المدرسي والحمد لله.

ثانياً:
الفزعة:

إنَّ يوم الأربعاء من كل أسبوع... هو يوم **(الفزعة)**، ويوم **(الكرامة)**، وهو يوم يتعلق بجمع الحطب... من الأودية المجاورة، ومن أهم تلك النباتات نبات **(السنة مكة)**... وكنا نطلق عليه في مرات عدة **(السنة سنة)... وهي شجيرات لا شوكيه.**

كنا **نفزع** صباحاً... ونأتي بكميات كبيرة مما نسميه **ب.. (حطب الفزعة)**، وكان ذلك يمثل لنا تربية عملية... في الاعتماد على النفس، وفي تحمل المشاق، وفي روح الانتماء لذلك الصرح القرآني... وهو **(الخلوة)**، تجمَّع تلك الكميات من الحطب في أحد أطراف حوش **(المسيد)...** (تجنباً للحرائق)، وتترك لتجف **(تنشف)**...

يتم استخدام ذلك الحطب الناشف... في إشعال نار **(التقابة)...** التي يتجمع حولها الطلاب، من بعد صلاة المغرب.. وحتى قبيل صلاة العشاء، كل منهم يتلو ما خط على لوحه من آيات قرآنية، حسب مستواه، وتتخلل ذلك عمليات العرض... وعمليات التملية... للطلاب القادرين على الكتاب.

في نهاية تلك الفترة المسائية... من تلاوة الحفظ، تطفأ نار **(التقابة)** بإهالة بعض التراب عليها... وليس بالماء... لتبقى مشتعلة حتى اليوم التالي... وبذلك لا تحتاج لجهد كبير... في إشعالها، على عكس ما إذا كانت تطفأ بالماء... فهو يبلل الحطب، مما يجعله رطباً... يصعب احتراقه، وهو عين ما يعرف في أوساط الأهل... بأنّ **نار (البعر)... ونار (الصوف)... ونار (القطن)...** لا تنطفئ إلاّ بمجهود، فهي دائماً تظل موقدة، لحين استخدامها في الأوقات اللاحقة.

omerelamma.com

ثالثاً:

الكرامة:

تعني الكرامة **(شد البليلة)**... في صاج كبير **(طانجي)**، صنع من الحديد السميك **(دق الحلب)**، والذي قد يتسع لعدة **(كيلات)** من الذرة **(الفتريتة)**، والتي تغمر بالماء... يوضع الصاج بمحتوياته، على ما يعرف **ب..(اللدايات)**، وهي عبارة عن ثلاثة حجارة كبيرة... تعمل على رفع الصاج بعيداً عن سطح الأرض... ليسمح بمرور الهواء من أسفله، والذي يساعد في إشعال الأعواد **(العيدان)** التي تحشر في أسفله... من بعد أن توقد، والتي ينتج عنها لهيب ضاري... يساعد في إنضاج الذرة، بطريقة فعّالة... وأسرع.

يظل الطلاب واقفون... أو جالسون، يراقبون **(البليلة)** في الصاج، ويدسون من الحطب ما يستطيعون... لزيادة اشتعال النار...ولو كنت تراقب معي الأمر من قريب... فإنك لن تسمع إلاً جملاً معينة، متلهفة، من الكلام **مثل:**

(نجضت؟)

و

(خلاص نغرف؟)

عند استواء الذرة... جراء تلك النار الحارقة، واكتمال نضجها... يتهافت عليها الجميع، كل بآنيته التي يحملها... أو في أطراف **(عراريقهم)** الأمامية، وهي ما تعرف **ب..(العب)**...

الجميع ينظر لتلك البليلة.. نظرة التفاؤل، إذ أنها تحمل الخير... والبركة، **و (ترفع البلا)**، كما أنها تمثل وجبة إضافية... محببة لدى الطلاب، ولدى (الفقرا)... في ذات الوقت.

omerelamin.com

يساعد **(شد البليلة)** كثيراً... في تنمية مهارات الطلاب، وشحذ هممهم العملية... وإكسابهم خبرات جديدة، ربما تعينهم على مجابهة، ما يجد من أمر في حياتهم المستقبلية، كما تزرع... وتنمي فيهم، روح التعاون... وتطوير البنية الاجتماعية...

رابعاً:أ:

النفير:

كان الطلاب يقومون بأداء بعض الأعمال الجماعية... التي قد تأخذ من الوقت الكثير... ليتم إنجازها، من قبل الأفراد... لكنها وعبر المشاركة الجماعية... والتعاون بين الأفراد، بتوحيد أهدافهم، في سبيل إنجاز عمل معين... تقضي تلك المهمة في وقت وجيز...

يتعارف الجميع على هذا المسلك ويطلقون **عليه (النفير)**... فكنا نحدد يوماً بعينه، وغالباً ما يكون يوم جمعة، ونذهب فيه للزراعة **(التيراب).. أو (الحش).. أو (الحصاد)**، لبلاد **(الشيخ)**... أو لبلاد **(الفكي)**.

كنا ننجز المهمة في **(ضحوة)** واحدة... وذلك لكثرة عددنا، ولبعض ما نملكه من خبرات سابقة... في هذا المجال، وكانت قدوتنا في ذلك الأداء المميز... أعمامنا **(الفقرا)** الكبار، الذين يتمتعون بروح.. وبهمة، عاليتين... زائداً على خبراتهم الواسعة، في مجال الزراعة... فكنا نستمد منهم المعرفة... التي ساعدتنا كثيراً، في أداء نشاطات حياتنا الزراعية المستقبلية... وخاصة لأبناء المزارعين من أمثالنا...

يعتبر **(النفير)...** تربية عملية، لا تحتاج **ل..(اللوح).. ولا ل..(الدواية).. ولا** تحتاج **إلى..(قلم البوص)**، فعن طريقها يتم صقل

omerelamnas.com

الطالب، في عملية تطبيق ما هو نظري... ليصبح عملياً، وهو ما لا يمكن نسيانه... على مر السنين.

في عصر أيام الأربعاء من كل أسبوع... وأثناء الجلسة المسائية في التلاوة... كنا نطلب الإذن للمغادرة لأهلنا... نحن أولاد **(شبشة)**، لقضاء فترة يومي العطلة... والتي تستمر حتى عصر الجمعة...

كان الطلب يتم بحذر شديد... من **(الفكي)**، الذي كان يعرف جيداً موعد ذهابنا لأهلنا... وذلك **(قبُل ما الشمس تغيب)**، لكنه كان يغض الطرف عن ذلك... متعمداً، حتى يحدد هو بنفسه موعد خروجنا من **(الخلوة)... ومن (المسيد)...**

كنا نكرر ذلك الطلب ونحن في ترقب تام... **(الخبطة أو خبطتين)**، من ذلك **(السوط)**... المسلط أمام وجوهنا، فكنا نرفع أيادينا الهزيلة في ضراعة، طالبين الإذن قائلين: **(أدينا الفاتحة يا سيدنا)**... وسيدنا لا تنطق كما تنطق كلمة **(سيّدنا)**، بتشديد الياء، بل من غير الشدة... مع فتح السين...

أخيراً يستجيب **(الفكي إدريس)** لطلبنا... ويرفع يديه الكريمتين، يقرأ لنا من الدعاء ما يشاء... ونعمد بعد ذلك نقبل يده الكريمة، وهو يهمهم **ويقول: (ما تتأخروا)**...

نضع **(ألواحنا)** مسنودة على الحائط، بكل الأدب والهدوء، ونتوجه لمجلس **(الشيخ أحمد)**... للحصول على **(فاتحة)** الوداع منه، فكان رحمه الله... يدعو لنا ويوصينا بما يشاء... ونخرج من بعدها الى خارج **(المسيد)**... ونحن فرحين ومسرورين **(ننطط)** .

omerelamrani.com

لم نكن نحمل في أيدينا... من المتاع شيئاً، حتى تلك **(الفتقة)**... من قماش **(الدمورية)...** ذات الذراعين طولاً، لم تكن في معية أي منا... فكنا نتركها في مكان مناماً... على ذلك **(البرش الأبيض)**، الذي يظل متمددا بداخل الغرفة... ليلاً.. ونهاراً، وصيفاً.. وشتاءً، فهو من مخصصات الطلاب...التي لا يجرؤ أحد على تحريكها من مكانها... إلاّ بأمر من المقدم المسئول عن ذلك.

يتحتم علينا الحضور للخلوة... بعد نهاية عطلة الأسبوع... عصر الجمعة، مع بداية الدراسة... للفترة المسائية، وهكذا تتوالى أيام الدراسة...والعطلات...والذهاب....**إلى..(شبشة)**...ومن ثم العودة **ل..(الصفيراية)**، عصر كل جمعة....

تلقفتنا المدرسة الأولية... وأصبحت (الصفيراية) حلماً خالداً... في نفوسنا، وصارت كما هي داراً للذكريات الطيبة... تلك التي تظل تطوف بنا... ما بين مجلس (الشيخ أحمد)... وجلسات التلاوة مع (الفكي إدريس)...وما بين ممارساتنا العملية... من ذكر...ومن فزعة...ومن كرامة.. وغير ذلك من اللحظات الصافيات... لا أشك أنها لحظات ذات طعم خاص....

نسأل الله الرحمة لمن فارقوا حياتنا الدنيا... وهم زاهدين، ورحم الله من تبقى منهم... يطوف كما نطوف بدار للذكريات... لا زالت تأتي أكلها... لمن رغب، ولا زالت منارة... يسير المسترشدون على هديها.

omerelamin.com

الخاتمة

عزيزي القارئ...

استميحك العذر... كي نتوقف هنا...

عند هذا المشهد التربوي الرائع،

وأرجو أن أشير لكم....

بالاطلاع على ما جاء في ذكر **(الخلوة)** في السودان...

من مآثر.....

في كتابي **التربوي رقم (١)... بعنوان:**

(التعليم عن بعد)

فستجد فيه ما يرضي... طموحاتكم...

وتطلعاتكم... بإذن الله...

إلى اللقاء،،،،

omerelammas.com

المحتويات:

الموضوع **الصفحة**

.....

١- الإهداء

٢- المقدمة

٣- التراث

٤- خلوة الشيخ أحمد

٥- الدراسة

٦- الذكر

٧- الفزعة

٨- الكرامة

٩- النفير

١٠- الخاتمة

omerelammas.com